(٤٤، ٤٥، ٤٦)

القَادِرُ القَدِيرُ

المُقْتَدِرُ ﷻ

من أقام أمر الله أقام الله ﷻ أمره، ومن سخر ما بين يديه لله سخر الله ﷻ له ما بين يديه، وكل هذا الكون بيد الله؛ فهو القدير والقادر ﷻ.

أخرج مسلم في «صحيحه»: أن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ؛ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَانْتَهَى إِلَى الحَرَّةِ، فَإِذَا هُوَ فِي أَنْذَابِ شِرَاجٍ، وَإِذَا شَرَاجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَبِعَ المَاءَ؛ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ -بِالاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ-.

فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ! لِمَ سَأَلْتَنِي عَنِ اسْمِي؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهَا؛ فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثَهُ، وَأَرُدُّ ثُلُثَهُ».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر:٤٤]، ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾﴾[المائدة: ٤٠].

ربنا ﷻ القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب، بخلاف خلقه، فهو ﷻ لا يتطرق إليه العجز، ولا يعتريه الفتور.

وربنا ﷻ هو الذي يقوى على الشيء ويقدر عليه، فهو ﷻ كامل القدرة؛ فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء؛ فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وربنا ﷻ هو الذي ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وهو القَدِيرُ ليسَ يُعجِزُهُ إذا
ما رَامَ شَيئًا قَطُّ ذُو سُلطَانِ

❐ كمال قدرته ..

ومن قدرة ربنا ﷻ: أنه: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾﴾[المائدة:٤٠]، وهو ﷻ: ﴿ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

ومما يدل على قدرته: أنه قادر على أن يأتي بنا ويجمعنا أينما كنا وحيثما حللنا؛ ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾[البقرة: ١٤٨].

ومما عرفنا به ربنا ﷻ عن عظيم قدرته: أنه ﷻ يقبض أرضه بيده يوم القيامة، ويطوي السماوات بيمينه، قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الزمر:٦٧].

كتبت المقادير..

وربنا ﷻ مقدِّر المقادير ومقسِّمها، علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد؛ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾[يس: ٣٨].

والله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلقهم بآلاف السنين، صح عنه ﷺ أنه قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[أخرجه مسلم].

ولذا؛ كان هذا هو الإيمان؛ لما سأل جبريل ﷺ الرسول ﷺ عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[أخرجه البخاري ومسلم -واللفظ له-].

❐ لا تعجب!

فقد فصل لنا ربنا ﷻ في كتابه القول ليعرفنا بقدرته: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر:٤٤].

إذا أراد الله ﷻ أن ينصرك؛ أمر ما لا يكون سببًا في العادة فكان أعظم الأسباب.

وإذا أراد القدير ﷻ أن يكرمك؛ جعل من لا ترجو الخير منه هو سبب أعظم العطايا التي تنالك.

وإذا أراد القادر ﷻ أن يصرف عنك السوء؛ جعلك لا ترى السوء، أو جعل السوء لا يعرف لك طريقًا.

وإذا أراد ﷻ أن يعصمك من معصية؛ جعلك تبغضها، أو جعلها صعبة المنال منك، أو أوحشك منها، أو جعلك تقدم عليها فيأتي عارض فيصرفك عنها.

فما أحرانا أن نطرق باب القدير ﷻ!

إبراهيم الخليل عليه السلام يسلم أهله لربه ﷻ؛ فيدعو: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيم:٣٧]، فكانت مكة حنين القلوب على مدار العصور.

وهذا سليمان عليه السلام يدعو: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾[الشعراء: ٨٣]، فملكه الله ﷻ رقاب الجن.

ويونس عليه السلام في ظلمة الليل والبحر وفي بطن الحوت يدعو: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأنبياء:٨٧]؛ فيصبح بطن الحوت له وعاءً.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ» [أخرجه البخاري].

وقدرة الله ﷻ يستعاذ بها من كل شر وأذًى؛ ففي الدعاء الذي علمه المصطفى ﷺ للمريض: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ»[رواه مسلم].

وقول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾[الممتحنة:٧]، فيه: إشارة إلى أن مغفرته ﷻ ورحمته لعباده عن كمال القدرة، فلا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره، ولا رحمة أن يوصلها.

فليس كل من له قدرة وقوة يغفر ويرحم من قدر عليه.

وليس كل من يغفر ويرحم له قدرة، فهو ﷻ مع كمال قدرته إلا أنه غفور رحيم.

❐ لكل شيء قدرًا:

والله ﷻ قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق:٣]، فمن اتقى ربه وتوكل عليه؛ فلا يتباطأ عون الله له، ولا ييأس من روحه، ولا يقنط من رحمته؛ فالفرج آتيه لا محالة؛ لأن الله ﷻ على شيء قدير.

ولكن الله ﷻ جعل لكل شيء قدرًا؛ له زمن لا يتجاوزه، ووقت لا يتخطاه، فإذا جاء موعد المقدور؛ فلا يستأخر عن دفعه ساعةً ولا يستقدم.

ينام العبد على أمرٍ قد يئس منه ويستيقظ على انفراجه؛ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾[الكهف:٤٥].

للكربة وقت ثم تزول، ولها زمن ثم تتحول؛ لأن الله ﷻ قد جعل لكل شيء قدرًا.

لا تثمر الشجرة حتى يحين وقتها، ولا تبزغ الشمس حتى يحل ميقاتها، ولا تضع الحامل حملها إلا بأجل؛ ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[الطلاق:٣] .

اللهم! اغفر لنا وارحمنا؛ إنك على كل شيء قدير.